

ا □ تعالى.. ملجأ العارفين



"إِذَا حَلََّ الهمُّ، وَخَيَّـمَ الغم، واشتد الكرب، وعظم الخطب، وضائق السبل، وبارت الحيل، نادى المنادي: يا □.. يا □" (لا إِلَهَ إِلَّا □ العظيم الحليم، لا إِلَهَ إِلَّا □ رب العرش العظيم، لا إِلَهَ إِلَّا □ رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم)، فَيُفَرِّج الهم، وَيُذَفِّس الكرب، وَيُذَلِّل الصعب (فَاسْتَجِبْـنَا لَهُ وَنَجِّـيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُدْمِنِينَ) (الأنبياء / 88)، (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَلِـلَّيْهِ تَجَاوَرُونَ) (النحل / 53). "إِذَا أَجْدَبَت الأرض، ومات الزرع، وجف الصرع، وذبلت الأزهار وذوت الأشجار، وغار الماء، وقل الغذاء، واشتد البلاء، خرج المستغيثون بالشيوخ الرُّكَّع، والأطفال الرُّضَّع، والبهائم الرُّتَّع، فنادوا: يا □، واستغاثوا: يا □، فينزل المطر، وينهمر الغيث، ويذهب الظمأ، وترتوي الأرض"، (وَتَرَى الأرضَ هَامِدَةً فَلِـذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَیْهَا الْمَاءَ اهْتَزَزَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْزَلْنَاهُ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِـيْجٍ) (الحج / 5)، وَإِذَا بِالماء يروي من العطش، وَيُذَقِّقُـي من الدنس. "إِذَا اشْتَد المرض بالمريض، وضعف جسمه، وشحب لونه، وقلت حيلته، وضعفت وسيلته، وعجز الطبيب، وحر المداوي، وجزعت النفس ورجفت اليد، ووجف القلب. انطرح المريض، واتجه العليل إِلَى العلي الجليل، ونادى: يا □.. يا □، فزال الداء" ودب الشفاء وسُمع الدعاء (وَأَيُّـوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنْـرِـيْ مَسَّـيَ الضُّرِّ وَأَنْزِلْ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجِبْـنَا

لَهُ فَاكْشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ (الأنبياء / 83-84). "إِذَا انْطَلَقَتِ السَّفِينَةُ بَعِيدًا وَبَعِيدًا فِي الْبَحْرِ الْهَيَّاجِ، وَهَبَتِ الزَّوَابِعُ، وَتَسَابَقَتِ الرِّيحُ، وَتَلَبَّسَ الْفُضَاءُ بِالسَّحَبِ، وَاكْفَهَرَتْ وَجْهُ السَّمَاءِ، وَأَبْرَقَ الْبَرْقُ، وَأَرَعَدَ الرُّعْدُ، وَكَانَتْ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَلَعِبَتِ الْأَمْوَاجُ بِالسَّفِينَةِ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَأَشْرَفَتْ عَلَى الْغُرُقِ، وَتَرَبَّصَ الْمَوْتُ بِالرَّكَّابِ، اتَّجَهَتْ الْأَفْتَدَةُ، وَجَارَتْ الْأَصْوَاتُ: يَا أَهْلَ الْيَمِّ، يَا أَهْلَ الْيَمِّ، فَجَاءَ عَظْفُهُ، وَأَشْرَقَ ضِيَاؤُهُ فِي الظَّلَامِ الْحَالِكِ، فَأَزَالَ الْمَهَالِكُ": (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ لَكُمْ وَجَارِيُونَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنْ زَلَّاهُمْ أَضْحَيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الَّذِينَ أَرْزَقْنَاهُ مِنْ هَذِهِ لَنَذْكُرَنَّهُ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَرْزَقَاهُمْ إِذَا هُمْ يَدْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نَزَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَى أَرْزُقْسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (يونس / 22-23)، (قُلْ مَنْ يُنْذِرُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَرْزَقَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَذْكُرَنَّهُ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنْذِرُكُمْ مِنْهُ وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ) (الأنعام / 63-64). "إِذَا حَلَقَتِ الطَّائِرَةُ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ، وَكَانَتْ مَعْلُوقَةً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَأَشْرَ مُؤَشِّرُ الْخَلَلِ، وَظَهَرَتْ دَلَائِلُ الْعَطَلِ، فَذَعَرَ الْقَائِدُ، وَارْتَبَكَ الرَّاكِبُ، وَضَجَّتِ الْأَصْوَاتُ، فَبَكَى الرِّجَالُ، وَصَاحَ النِّسَاءُ، وَفُجِعَ الْأَطْفَالُ، وَعَمَّ الرَّعْبُ، وَخِيمَ الْهَلَعُ، وَعَظُمَ الْفَزَعُ، أَلَحَّوْا فِي النِّدَاءِ، وَعَظُمَ الدِّعَاءُ: يَا أَهْلَ الْيَمِّ، يَا أَهْلَ الْيَمِّ، فَأَتَى لُطْفُهُ، وَتَنَزَّلَتْ رَحْمَتُهُ، وَعَظُمَتْ مِزَّةُ تَعْنُّهُ، فَهَدَأَتْ الْقُلُوبَ، وَسَكَنَتِ النُّفُوسَ، وَهَبَطَتِ الطَّائِرَةُ بِسَلَامٍ". "إِذَا اعْتَرَضَ الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَعَسَرَتْ وَلادَتِهِ، وَصَعِبَتْ وَفادَتِهِ، وَأَوْشَكَتِ الْأُمُّ عَلَى الْهَلَاكِ، وَأَيَّقَنَتْ بِالْمَمَاتِ، لَجَأَتْ إِلَى مَنْفَسِ الْكَرْبَاتِ، وَقَاضَى الْحَاجَاتِ، وَنَادَتْ: يَا أَهْلَ الْيَمِّ، فَرَّالْ أَنْيْنَهَا، وَخَرَجَ جَنِينُهَا". إِذَا حَلَّتْ بِالْعَالَمِ مَعْضَلَةٌ، وَأَشْكَلَتْ عَلَيْهِ مَسْأَلَةٌ، فَتَاهُ عَنْهُ الصَّوَابُ، وَعَزَّ عَلَيْهِ الْجَوَابُ، مَرَّ أَنْفَهُ بِالتَّرَابِ، وَنَادَى: يَا أَهْلَ الْيَمِّ، يَا مَعْلَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلْمَنِي، يَا مَفْهَمَ سُلَيْمَانَ فَهْمَنِي، "اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تُهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"، فَيَأْتِي التَّوْفِيقُ وَتُحْلِلُ الْمَغَالِيقَ. "فَهُوَ تَعَالَى الْمَلَاذِ فِي الشَّدَةِ، وَالْأَنَيْسَ فِي الْوَحْشَةِ، وَالنَّصِيرَ فِي الْقَلَّةِ. يَتَّجِهْ إِلَيْهِ الْمَرِيضُ الَّذِي اسْتَعَصَى مَرَضُهُ عَلَى الْأَطْبَاءِ.

ويدعوه آملاً في الشفاء". ويتجه إليه المكروب يسأله الصبر والرضا، والخلف من كل فائت، والعوض من كل مفقود، (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ) (البقرة/ 156). ويتجه إليه المظلوم آملاً يوماً قريباً ينتصر فيه على ظالمه، فليس بين دعوة المظلوم وبين حاجب، (أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَ صَرِيرٌ) (القمر/ 10). ويتجه إليه المحروم من الأولاد سائلاً أن يرزقه ذرية طيبة، (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحًا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنِّي وَرَائِيَ وَكَانَ زَكَاةً أَمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَدُنْكَ وَلَدًا * يَرَبِّ ثُنِّي وَإِنِّي مِنَ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) (مريم/ 4-10). وكل واحد من هؤلاء آمل في أن يُجاب إلى ما طلب، ويحقق له ما ارتجى، فما ذلك على قدرة الله بعيد وما ذلك على الله بعزير. أي سكينه يشعر بها المؤمن حين يلجأ إلى ربه في ساعة العسرة ويوم الشدة. فيدعوه بما دعا به محمد (ص) من قبل: "اللهم رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى. منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول، فليس قبلك شيء. وأنت آخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء، اقض عني الدين. واغنني من الفقر". فهو سلوة الطائعين، وملأ الهاربين، وملجأ الخائفين، قال أبوبكر الكتاني: "جرت مسألة بمكة أيام الموسم في المحبة. فتكلم الشيوخ فيها. وكان الجنيد - رحمه الله - أصغرهم سناً. فقالوا له: هات ما عندك يا عراقي. فأطرق ساعة، ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، ومتمل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هيئته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم: فبا. وإن نطق: فعن الله. وإن عمل: فبأمر الله. وإن سكن: فمع الله. فهو الله، وبالله، ومع الله، فبكى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد. جبرك الله يا تاج العارفين". إليه وإلا لا تُشددُ الركائبُ *** ومنه وإلا فالمؤملُ خائبٌ وفيه وإلا فالغرامُ مُضَيَّعٌ *** وعنه وإلا فالمحدثُ كاذبٌ من علق نفسه بمعروف غير معروف الله فرجاؤه خائب، ومن حدَّث نفسه بكفاية غير كفاية الله فحديثه كاذب، لا يغيب عن علمه غائب، ولا يعزب عن نظره عازب، (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (يونس/ 61). المصدر: كتاب الله أهل الثناء والمجد